

في تاريخ المشكلة اللغوية

الواحدة وهي الكسرة المائلة .

ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقربها منها اوجد الاعراب من النبطية كما تؤيد ذلك النقوش التي عثر عليها . وقد ذهب Noldke المستشرق الألماني الى أن النبط كانوا يستعملون الضمة في حالة الرفع ، والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر ، ولا يعقبون هذه الحركات بالنون^(١) . وعدم وضع النون بعد الحركات يشبه ما هو شائع في قسم من لهجات العربية الدارجة ، ومن ذلك ما هو مستعمل في لهجة اهل الموصل في العراق ، وفي غير الموصل كما في الاقطار العربية الاخرى .

ويرى المستشرق E. Littmann أن أواخر الكلمات في اللهجة النبطية قد يحدث فيها تغيير بحسب موضعها في الاعراب^(٢) . والاعراب أثر في اللغة العبرانية يتبينه الباحثون في حالتها المنعول به وفي ضمير التبعية^(٣) ، على أن هذا الأثر ضئيل جداً ، فقد أوشكت تخلو لغة العهد القديم من الاعراب . غير أن علامة النصب في العبرية القديمة هي الفتحة الطويلة التي نشأ عنها حرف الهاء ، والهاء المتطرفة في هذه اللغة تشبه الألف اللينة ، ومن أجل ذلك تعامل معاملة أحرف المد ، وتظهر هذه في آخر الاسم المنصوب بتزع الخائض ، كما في آخر نظير المنصوب (ليلا)^(٤) وتعني (ليل) ، و (عدا)^(٥) وتعني (حين) . وكما

(١) Th. Noldke, Die Semitischen Sprachen. Leipzig 1899, S. 51 f.

(٢) E. Littmann Inscriptions Leiden 1914 P. 37 ff.

(٣) وفنسيون ، تاريخ اللغات السامية ص ١٢ .

(٤) نكتب الهاء في العبرية في آخر الاسم ولا تلفظ .

(٥) ربما ثابت هذه الكتابة في العربية (حتى) فقد قرأ ابن مسعود (حتى حين) في قوله تمسالي

(أي حينه حتى حين) (يوسف ٢٤) وهي لغة هذيل التي تهاه عمر أن يقرى . الناس بها . أنظر الزحطري ،

الكشاف ٢/٦٤ ، مطبعة الاستقامة ١٩٤٦ . وقرأه ابن مسعود من شواذ القراءات ، أنظر ابن خالويه ،

مختصر في شواذ القرآن .

تلحق هذه العلامة الظروف، فانها تلحق المصدر فينصب كما هو في المفعول المطلق في العربية ، ولكنها في هذه الحالة تكون متأولة بيمين زائدة (للتعميم) الذي يقابل التنوين في العربية^(١) ، مثال ذلك (يومام) وتعني (يوماً) و (حنام) وتعني (حناناً) ، والمتابع لشوارد النصوص في اللغة العبرية ربما وجد آثاراً تشير الى شيء يشبه الضمة والكسرة ، ولعلها بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين في العبرية القديمة .

ويعمل المحدثون -- وجلهم من المستشرقين -- ظاهرة الاعراب في العربية وفي سائر اللغات السامية بخلاف هذه اللغات من ادغام للكلمات أي وصل كلمة بأخرى لتتكون من الكلمتين كلمة واحدة لها معنى مركب منها كما في اللغات الآرية^(٢) . وليس من حجة علمية تاريخية تثبت صحة هذه الدعوى ، والذي ثبت في التحقيق العلمي أن في العربية تراكيب كثيرة ، وانها استغادت من التركيب لتكثير المعاني والمباني ، وقد اعتمد البناء في العربية على التركيب بصوره المختلفة ، وكان مذهب الخليل بن احمد أن الكلمتين اذا ركبنا ولكل منهما معني وحكم اصبح لهما بالتركيب حكم جديد^(٣) . وتبع الخليل في مقالاته جمهور الكوفيين ومنهم الكسائي والنحوي . ومن أجل ذلك فليس عدم التركيب علة في الاعراب ، وذلك لوجود التركيب والاعراب في العربية في الوقت نفسه .

ويختلف الرأي في دلالة الحركات على المعاني الاعرابية بين القدماء والمحدثين في اللغة العربية. وأول من أشار الى هذه المشكلة من القدماء هو الخليل بن احمد ، ذكر سيبويه^(٤) أن الخليل قال : « ان الفتح والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحروف ، ليوصل الى

(١) أنظر (التون في العربية) الجزء الثالث من مجلة كلية الآداب والعلوم ، ١٩٥٤ .

(٢) Carl Brockelmann, Grundriss, I. S. S.

(٣) ابن جني ، سر صناعة الاعراب - حرف السكاف ...

(٤) سيبويه ، الكتاب ٢/ ٣١٥ .

في تاريخ المشكلة العربية

للتكلم به والبناء هو الساكن لا زيادة فيه ولعل الجدل في دلالة هذه الحركات على المعاني الاعرابية وهب عدم دلالتها على ذلك ، دار بين قلاميذ سيوريه والكسائي فذهب جمهورهم من مذهب الاول ، وذهب آخرون من مذهب الثاني .

ويمثل رأيي الداهيين الى أن الحركات كان دوال على معان اعرابية ، أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحق الزجاجي ، فقد نقل السيوطي في الاشباه والنظائر^(١) قوله : « إن الأسماء لما كانت تعتبرها المعاني وتكون فاعلة ومنفعولة ومضافة ولم يكن في صورها وابنيها اذلة على هذه المعاني ، جعلت حركات الاعراب تميز عن هذه المعاني وتدل عليها ليتسع لهم في اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة » .

ويمثل رأي الطائفة الأخرى قطرب أبو علي محمد بن المستنير وهو تلميذ سيوريه ، قال قطرب : إنما أعربت العرب كلامها ، لأن الأسم في حال يلزمه السكن للوقوف ، فلو جعلوا وصاه بالسكون وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقباً للاسكان ، ليتبدل الكلام . ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ولم يجعلوا بين ساكنين في حشو الكلمة ، ولا في حشو بيت ولا بين احرف متحركة ، لأن في اجتماع الساكنين يبطنون في كثرة الحروف المتحركة ، ويستعجلون ، وتذهب الصلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الاسكان^(٢) .

وفي هذا الرأي توضيح وإبانة لرأي الخليل الذي اسلفنا ذكره وعن ذهب من مذهب قطرب من المحدثين الدكتور ابراهيم انيس ، ولكنه حلاله أن يلتزم بالرأي منفصلاً فيه وكانه أول من قال بهذا الرأي^(٣) . والوجه في هذا الرأي أن هذه الزوائد الاعرابية يلجأ اليها لامور فنية (Technique) ، وهو أن الموسيقى والانسجام يستدعيان هذه الزوائد

(١) السيوطي ، الاشباه والنظائر ١/٧٦ - ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ١/٧٩ .

(٣) ابراهيم انيس ، من اسرار اللغة ص ١٤٢ .

ابراهيم السامرائي

الإعرابية ، ومعنى هذا أنه ليس للحركات الاعرابية مدلول ، وإن الحركات لم تكن تحدد المعاني في ذهن العرب الاقدمين ، وهي لا تعدو أن تكون حركات يحتاج اليها في كثير من الأحيان لوصول الكلمات ببعضها ^(١) . ويرى الدكتور ايس أن « النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الاعراب ، وقاسوا بعض الاصول ، رغبة منهم في الوصول الى قواعد مطردة منسجمة » ^(٢) . ثم انه يفترض انترافاً لا يقوم على أساس علمي تاريخي ، فيقول : « ولعلهم تأثروا بما رأود حولهم من لغات كالليونانية ، ففيها يفرق بين حالات الاسماء التي تحسى « Cases » ويرمز لها في نهاية الاسماء برموز معينة » ^(٣) . ولقد فاته أن اليونانية تختلف نحواً وطبيعة عن العربية ، ولم يكن راضع النحو عارفاً أو متأثراً باليونانية بأي وجه من الوجوه ، والقول بالتأثر باليونانية في الثقافة العربية الاسلامية شائع عند الكتاب المصريين ، على مثل هذا ذهب كل من الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والدكتور ابراهيم مذكور ^(٤) والدكتور ابراهيم سلامة ^(٥) . وقد بتي ابراهيم مذكور رأيه في تأثر النحو العربي بمنطق أرسطو على أمور :

(١) اعتبار القياس أصلاً من أصول النحو وتحديدته ووضعته على نحو ما حدد القياس المنطقي ثم التشابه بين ما جاء من تقسيم الكلمة عند سيبريه الى اسم وفعل وحرف وما جاء من تقسيمها عند ارسطو الى اسم وفعل وأداة .

(٢) ظهور النحو السرياني في مدرسة نصيبين في القرن السادس الميلادي على مقربة من

(١) المصدر السابق ص ١٤٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧١ .

(٤) ابراهيم مذكور ، مجلة مجمع نواد الأول لغة العربية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ (منطقي أرسطو)

والنحو العربي .

(٥) ابراهيم سلامة ، بلاغة ارسطو بين العرب واليرتاق .

في تاريخ المشكلة اللغوية

النحاة العرب الأولين ، ثم ترجمة عبد الله بن المقفع لمنطق أرسطو التي تعد كما يقول بروة جديدة نقلت الى العالم الاسلامي ، ثم تلمذة بعض السريان على الخليل بن أحمد كحنين بن اسحاق الطبيب السرياني المعروف الذي كان له أثر في نقل علوم اليونان . وقرر الدكتور أن حنيناً قد عاصر الخليل وسيبويه ، وليس مذكور أول من ذهب الى هذا ، فقد قال بهذه المقالة قدماء ومحدثون .

ومن القدامى ممن ذهب الى هذا ابن أبي أصيبعة في (عيون الانباء) (١) ونقل هذه الرواية القفطي (٢) ، وقد ذهب الأستاذ أحمد أمين هذا المذهب من المحدثين (٣) ، ورد هذه الأقوال يقوم على أن الخليل لم يعاصر حنيناً فوفاة الخليل كانت في سنة ١٨٠ أو قبل ذلك أو بعده بقليل ، وان ولادة حنين لم تكن قبل سنة ١٩٤ ، فلم يدرك إذاً حنين الخليل ولا رآه ، والزعم باطل من أساسه . والقول بهذا التأثير نتيجة تقليد هؤلاء المحدثين للمستشرقين في أقوالهم ، فإلى مثل هذا ذهب (دي بور) في تاريخ الفلسفة في الاسلام (٤) . ويستدل الدكتور ابراهيم أنيس بنحو اللهجات الاقليمية الحديثة من الاعراب على عدم شيوعه في اللغة العربية في مراحلها الأولى (٥) ، على اننا لا يمكننا أن نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الاعراب دليلاً على ان الاعراب ظاهرة لم تكن موجودة في العربية الأولى (٦) ، وقد رأينا أن اللغات السامية جميعها كانت معربة ثم زال اعرابها في اليهود التي تعاقبت على مراحلها الأولى . وقد أمثال الدكتور علي عبد الواحد وافي في الرد على

(١) ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ١/ ١٨٤ .

(٢) القفطي ، اخبار العلماء باخبار الحسكاه ، ١١٢ .

(٣) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ١/ ٢٩٥ .

(٤) دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام .

(٥) ابراهيم أنيس ، من اسرار اللغة من ١٣٩ .

(٦) علي عبد الواحد وافي ، لغة اللغة من ١٣ .

ابراهيم السامرائي

زميله الدكتور أنيس في كتابه « فقه اللغة » .

وقد عرض الأستاذ ابراهيم مصطفي الموضوع نفسه ، فقرر أن الحركات دوالي على معان ، بل ان من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني ، ثم هو يقول : « وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها كل الحرص ، وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً ، ونحن نعلم أن العربية لغة « الايجاز » وأن العرب كانوا يتخففون ما وجدوا السبيل الى ذلك ويخففون الكلمة اذا فهمت والجملة اذا ظهر الدليل عليها ، والاداة اذا لم تكن الحاجة مايجئ إليها . وعندنا أن الفتحة ليست علامة اعراب ، ولا دالة على شيء ، وإنما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة (١) ، وأما الضمة فهي علم الاسناد أما الكسرة فانها علم الاضافة (٢) . ورأى الأستاذ ابراهيم مصطفي في دلالة الفتحة غريب ، فقد دلت المقارنات على أن الفتحة وجدت في حالة النصب في كثير من اللغات السامية ، ولم يكن هناك من سبب لفتحة « المستحبة » كما أسماها . ويرى الأستاذ Marcel Cohen أن هذه القواعد المتشعبة الدقيقة وخاصة قواعد الاعراب لم تكن مراعاة الا في اللغة الفصيحة الادبية . أما لغة التخاطب ، فلم تكن معرفة (٣) . وهو يستدل على ذلك بأن قواعد هذا شأنها في الشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن في لغة التخاطب ، وإنما هو من اختصاص اللغة الفصيحة . لغة السنود الميذبة . أما الأستاذ (فك) المستشرق الألماني فيرى أن الحركات صفة من صفات العربية ، وسمة من أعلامها

(١) ابراهيم مصطفي ، احياء النحوي ، ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ — ١٠٠ .

(٣) M. Cohen, Les Langues du monde عن فقه اللغة للدكتور علي عبدالواحد وأبي مر ١٣٠ .

في تاريخ المشكلة اللغوية

اللغوية ، والتي فقدت في أخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة (١) . وعنده أن العربية حافظت في مختلف عصورها على هذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللحن واللهجات الاقليمية في الخواصر .

وأريد الآن ان أبسط رأياً ، وهو أن العربية التي ورثناها ، والتي نعرف من آخرها الشيء الثابت الصحيح ، لا تمتد إلى الإسلام في التاريخ الزمني كثيراً . ومعنى هذا أن العربية المعشاة في لغة التنزيل ، هي العربية التي نقيم عليها البحث والدرس ، وما العربية الجاهلية الا شيء من هذه العربية الاسلامية ، ولا أريد أن أقول بنظرية الانتحال ، ففي الجاهلية أذب كثير فيه الصحيح وفيه الموضوع ، ولكني لا أستطيع أن أجعل مادة للدرس والبحث ، هذه النصوص الجاهلية التي لا نعرف عن بدايتها ونهايتها كثيراً ، وأترك هذه النصوص الاسلامية وفي مقدمتها كتاب الله . والعربية — ممثلة في القرآن — لغة عالية سلخت من تاريخها مراحل طويلة ، حتى انتهت إلى هذا الشكل من الكمال . والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على أن لغة القرآن قد طبعت العربية بطابع واضح مبین وقضت بذلك على آثار اللهجات الاقليمية . وأريد أن أخلص إلى أن هذه اللغة العالية قد ثبتت من أصول اللغة وقواعدها ، وانها التزمت الاعراب التي لم يكن شائعاً ومستعملاً على نحو ما التزمت به نصوص القرآن وسنأتي على اثبات هذا الرأي . ومعنى هذا أن العربية في طجاتها المتعددة لم تكن متقيدة بهذه الضوابط الثابتة ، ولكن هذه اللغة هي التي جعلت الاعراب السمة الملازمة للعربية ، والتي أريد لها أن تكون ملازمة

والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على الجهود التي بذلت كي تسود لغة التنزيل في وضوحها والتزامها الاعراب ، فقد ورد أن عمر بن الخطاب سمع رجلاً يقرأ (عني حين) في قوله تعالى

(١) يوهان نيك ، العربية (ترجمة النجلر) ص ٣ .

ابراهيم السامرائي

« ليس جنبه حتى حين »^(١) فقال : من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود . فكتب اليه : إن الله أنزل هذا القرآن عربياً ، وأنزله بلغة قريش ، فأفري الناس بلغة قريش ، ولا تقرهم بلغة هذيل^(٢) . وفي الأخبار أن عمر منع أن يؤخذ بقراءة جماعة من القراء .

وما استطاعت لغة القرآن والحديث أن تأتي على اللهجات اللاحقة المهلية ، أو على العربية المستعملة السهية ، والتي تتخفف من قيد الضوابط الثقيل . ومن هنا فالعربية شفعية التعبير منذ أن كانت ، ذلك بأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ملتزمة بضوابط الاعراب ، ولغة أخرى يقولها الناس ويستعملونها دون أن يلموا أنفسهم بعناء هذه الضوابط ، وربما تعدى الأمر مسألة الاعراب الى الألفاظ نفسها ، فقد يكون في اللفظ الثانية ما هو بعيد عن العربية ، وأنه قد دخل فيها نتيجة اتصال العرب أنفسهم بغيرهم من الاقوام والاتصال حاصل في كل عصر ، فالعرب في أطراف الجزيرة قد تهرباً لهم أن يتأخروا أقواماً غيرهم ، فلم نعلم بذلك سلفيتهم . ومن أجل ذلك حرم على الأخذ بقراءة

تعتمد على لغة قريش ، والى مثل هذا كان يرمي عثمان من جمعه للقرآن ليكون المسلمون مجتمعين على قراءة واحدة فينبذوا ما كان عندهم مما هو مخير لما اتفق عليه . ولا يعدم الباحث ان يجد في كتب التفسير والقراءات وكتب القريب وكتب النحو من هذا الباب شيئاً كثيراً من القراءات . ومرد ذلك أن الناس قد فطروا على أساليب في التعبير خاصة بهم ، وبذلك قرأوا . وأن طائفة كبيرة من هذه القراءات الخاصة اعتبرت من شواذ القراءات . والشواذ من القراءات هي ما خلا تلك التي انتشرت بواسطة القاريء المشهور ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٢ . كقراءة ابن مسعود وقراءة أبي بن كعب واختيار الحسن البصري وامثالهم وهي تعد في باب الشواذ^(٣) ، وقد ألف غير واحد من الأقدمين في موضوع

(١) يوسف ٢٠ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف (٣ / ٤٦٨) .

(٣) ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن (المقدمة) .

في تاريخ المشكلة اللغوية

الشواذ كالعكبري في كتابه اعراب القراءات الشاذة ، والأهوازي وابن عطية والمهدوي ولم نعرف مؤلفات هؤلاء ولم يصل إلينا منها شيء ، كما اندثر كتاب الواضع في القراءات وكتاب المحتوى للبدائي .

ومن أمثلة هذه الشواذ التي لا تدل إلا على اللهجات الدارجة أو اللهجات الاقليمية ما جاء من شواذ سورة الفاتحة :

قرأ أبو السوار الغنوي « بهياك »^(١) بالهاء المكسورة في الآية الخامسة « اياك نعبد » وقد قرأ عمرو بن فايد « اياك » بالتخفيف ، وقرأ جناح بن حبيش « نستعين » بكسر النون^(٢) .

وجاء من شواذ البقرة : قراء: يحيى بن وثاب : « ولا تقر با هذه الشجرة » بكسر التاء ، وقرأ أبو السمال « هذه الشجرة » بكسر الشين ، وقد قرئت « هذذ الشيرة » بكسر الشين والياء حكاه أبو زيد^(٣) . وقراءة الشجرة بإبدال الياء من الجيم إثبات للهجة من اللهجات التي تلتزم هذا الإبدال الذي ما زال حاصلًا في لهجات القرويين في جنوبي العراق . وقد قرئ « بين المرء وزوجه » بدون همز مع تشديد الراء^(٤) .

وقرأ مسلمة بن محارب « بعموطن » من قوله تعالى : « وبعوتن أحق بردهن » بحزم التاء^(٥) ، ومعلوم أن « البعولة » جمع « بعلى » كما أن « السهولة » جمع « سهيل » . وعندى أن اختلاف القوم في صيغ الجموع ، راجع إلى اللهجات الإقليمية ، ومعنى ذلك

(١) المصدر نفسه . (شواذ سورة الفاتحة) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه (شواذ سورة البقرة) .

(٤) المصدر السابق (شواذ سورة البقرة) .

(٥) المصدر السابق .

ابراهيم السامرائي

ان كل قبيلة الفت صيغة من صيغ الجمع لاسم معين ، في حين أن القبيلة الأخرى الفت صيغة أخرى .

وجاء في شواذ سورة المائدة قراءة بعضهم « لعباً » بكسر اللام واسكان العين في قوله تعالى : « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً » .

وجاء في شواذ سورة الاعراف « الجُمَّل » في قوله تعالى : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » بضم الجيم وتشديد الميم وفتحها ، وهي قراءة ابن عباس (٢) ، ومعلوم أن صيغة (فُعَل) من صيغ جموع التكسير بضم الفاء وفتح العين وتشديدها ، لا يكون مفرداً إلا فاعلاً مثل « رَأَكُم » وجمعها « رُكُوع » ، في حين أن مفرد (جُمَّل) هو « الجُمَّل » بضم فسكان ومعناد الجمل (٣) . وقد قرأ أبو السمال (الجُمَّل) بفتح الجيم واسكان الميم (٤) .

ومن شواذ سورة طه قراءة عكرمة « اهس » (٥) بالسين في قوله تعالى : « اهس بها على نخعي » .

ومن شواذ سورة الأنبياء قراءة ابن عباس « حضب » (٦) بالضاد في قوله تعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » ، وقرئ « حصب » بأسكان الصاد ، وقرئ « حطب » بالطاء .

(١) المصدر السابق (شواذ سورة المائدة) .

(٢) الزمخشري ، السكتات ١٠٣/٢ ، وانظر القبان مادة « جمل » .

(٣) حدث في الجمل مني * ٢٤١ تصحيح مثل هذا بين دلة * الجمل * على التأجيل دون الميوان المعروف

انظر : Bar Bahāil, Lexicon 500.

(٤) ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن .

(٥) المصدر السابق (شواذ سورة طه) .

(٦) الزمخشري ، السكتات ١٢٦/٢ .

في تاريخ المشكلة اللغوية

ومن شواذ سورة الحج جاء في كلمة « صلوات » إحدى عشرة قراءة^(١) في قوله تعالى :
 « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها
 اسم الله » . والقراءات هي « صَلَّوَات » بفتحين وهي « صَلَّوَات » بضميتين على قراءة
 أبي العالية والكلبي والضعاك ، و « صَلَّوَات » بضم فإسكان على قراءة جعفر بن محمد
 وهي (صَلُون) بضم الصاد فلام فواو ونون و « صَلُوب » بالياء ، و « صَلُوت » بفتح
 فإسكان ، و « صَلَوَات » بكسر فإسكان و « صَلَّوَات » بضم الصاد واسكان اللام وثاء
 مثلثة في الآخر و « صَلَوَاتَا »^(٢) بشاء في الآخر مع الف الاطلاق . والسكينة جمع صلاة وهي
 تعني الكنيسة والكلمة سريانية^(٣) بخلاف ما ذهب اليه الزمخشري من أنها عبرانية ،
 وتذييل الكلمة بالالف بقصد التعريف . ولعل صيغ جموع التكسير يمكن أن ترد الى
 صيغ محدودة ، وذلك أن بعضاً منها يحصل من صيغة أخرى باستخدام المد مثلاً ، فكلمة
 « تارة » تجمع على « تير » ، ولكنها تصبح « تيار » باطلاق الفتحة^(٤) . وهذا يدل
 على أن صيغ جموع التكسير وصورتها على هذه الكثرة ناتج عن اللهجات الاقليمية ، إذ
 من المعلوم أن اقليماً من الاقاليم يميل في الحركات حتى تصبح مداً ، ومن هذه أيضاً
 « أسد » بضم الهجزة واسكان السين أو ضمها ، فإذا اشبع الضم على السين صار مسداً
 وصار الكلمة « اسود » ، ومثل هذا « احبة » و « احباء » وكثير غيره .

ويدلنا على اشارة هذه الصيغ الى موضوع الالهيات ، ما يوجد في اللغة الحبشية من

(١) ابن خالويه ، مختصر شواذ القرآن (شواذ سورة الحج) .

(٢) الزمخشري ، التكملة ١٦٠/٢ .

(٣) القرداسي ، اللباب مادة (صل) .

(٤) الجوهرية ، الصيغ مددة (ب) .

ابراهيم السامرائي

صينغ جموع التكسير ودلالاتها على الموضوع نفسه (١).

ونستطيع أن نوجز أن القراءات في القرآن تقوم على تغيير في الحركات وتغيير في الالبية والصينغ وتغيير في الأصوات وتغيير في الألفاظ ، ومجموع هذا يدل على أن طرق التعبير الخاصة وجدت طريقها إلى لغة التبريل ، ولم توجد في ذلك جهود للتوحيد . والقراء يختلفون حتى في موضوع الإعراب الذي التزمه جميعهم ، فهذا يرفع ما ينصبه ذلك ، وذلك يخفض ما يرفعه هذا (٢) . وقد حمل هذا على أنه خطأ من كتاب الوحي ، فقد روى أبو معاوية محمد بن حازم القمي السعدي المتوفى سنة ١٩٣ . عن هشام بن عروة بن الزبير المتوفى سنة ١٤٦ . عن أبيه عن عائشة أنها قالت : ثلاث أحرف في كتاب الله هن من خطأ الكتاب وهي قوله تعالى : « إن هذا لساحران » (٣) ، وفي قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابغون » (٤) ، وفي قوله تعالى : « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة » (٥) . وقد حقق النحويون في حديث عائشة حول غلط الكتاب ، وحديث عثمان في قوله « أرى فيه خطأ » ، فاعتلوا لكل حرف منها ، واستشهدوا الشعر ، فقالوا في (إن هذا لساحران) هي لغة بلخارت بن كعب (٦) ، فهم يقولون : « مررت برجلان » ، و « قبضت منه درهمان » و « جلست بين يده » و « ركبت علاه » وأنشدوا ظهور

(١) Dillman : Grammatik der Celbiopischen Sprache P. 557

(٢) ابن فنيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٩ .

(٣) سورة طه ٦٣ .

(٤) سورة المائدة ٦٩ .

(٥) سورة النساء ١٦٥ .

(٦) ابن فنيبة ، تأويل مشكل القرآن ٣٦ .

الحرثي (١) :

تزود منسبا بين أذناه ضربة دعته الى هابي التراب عقيم
كما اعتلوا لسائر المواضع السابقة علة مناسبة .

وشيوع اللحن في مختلف الطبقات ، دليل على أن هذا الأعراب ثقيل لا تحمله سليقة
العرب اللغوية ، وكان ذلك في صدر الإسلام وقبل أن يتم اختلاط العرب بغيرهم ذلك
الاختلاط العظيم الذي تم في المصير المتأخرة ، ثم أتى شيوع اللحن لم تسلم منه سليقة
المتقنين ولا العلية من القوم ولا العلماء ، فلم تسلم هشيم بن بشير محدث أهل العراق
سليقته اللغوية ، فكان يلحن في كلامه ويشير الجاحظ الى مخالفة المحدثين ما التزم من قواعد
الأعراب (٢) .

وكان عبد الملك بن مروان يحضر أبناءه من اللحن ، وكان يقول لهم : « إن اللحن في
منطق الشريف أقبح من آثار الجدي في الوجه ، وأقبح من الشق في ثوب نعيس (٣) » .
وشيوع اللحن في زمان عمر بن الخطاب معروف ، فقد روى أن عمر سمع أعرابياً يقرأ
قوله تعالى : « إن الله بريء من المشركين ورسوله » بجر رسوله فنبهه على الخطأ ، وكانت
ذلك سبباً في وضع النحو إذ صحت الأخبار (٤) .

والأخبار في وضع النحو كثيرة لا مجال لذكرها هنا ، ولكنها في مجموعها تشير الى أن
اللحن في هذه الفترة المتقدمة كان شائعاً ، وشيوعه في قراءة القرآن مما عمل في وضع هذه
الضوابط النحوية للحفاظ على لغة التوريل من العبث . وشيوع اللحن دليل أيضاً على أن

(١) أبو زيد ، النوادر ، ص ٥٨ .

(٢) الجاحظ ، البيان ، ص ٥٠ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ص ١٥٣ .

(٤) ابن الأثير ، نزهة الألباء ، ص ٤٠ .

ابراهيم السامرائي

للقوم لغة يتخففون فيها من الضوابط الثقيلة وهي اللغة المستعملة وهي لغة الكثير من الناس ، ولغة التخاطب في الحياة اليومية .

على أن هذا اللغة العامة التي استعملها الناس لم تكن بعيدة عن لغة الكتابة في مادتها اللغوية ، وكأن من شرط هذه اللغة مجانية الاعراب ، والى هذا يشير الجاحظ في قوله : « وإن وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب ، وانظروا معيولاً عن جهته ، فاعلموا اننا تركنا ذلك ، لأن الاعراب يفيض هذا الباب ويخرجه عن حده الا أن احكى كلاماً من كلام متعاقبي البضلاء واشعاء العلاء كسهل بن هرون وأشباهه . »^(١)

والمشكلة اللغوية قائمة في عصرنا الحاضر كما أسلفنا ، وذلك لأن العربية الفصيحة المكتوبة هي غير العربية المستعملة في التخاطب وغير اللهجات الدارجة التي لم ترق الى لغة المثمنين ، وهي في مادتها نماذج متأخرة متدهورة ، وليس قيام المشكلة على هذا الوجه يستحيل الحل . فشموع الثقافة وتيسير المعرفة لأبناء العربية على شكل عام كفيلا يرفع مستوى اللغة الى الحد الذي كانت عليه العربية في مختلف عصورها ، فلم يسلم عصر من عصور التاريخ اللغوي من ازدياد في اللغة ، وقد شاهد علماء العربية الأقدمون مثل الخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي وعيسى بن عمر وغيرهم لغة نامية يستعملها جمهور الناس ، ولقد أثر عن الكسائي انه وضع رسالة في لحن العامة . ولغة العامة غير لغة العلية فقد ذكر ابو جلال العسكري في العارفين إذا كلمته بكلام العلية سحر منك وزرى شريك : كما روى عن بعضهم أنه قال لبعض العامة : « بم كنتم تفتقلون »^(٢) البارحة ؟ فقال : « بالمالين » . ولو قال له : « ايش كان نقلكم لسلم من سخريته . فينبغي أن يتخاطب كل

(١) الجاحظ ، البضلاء ، طبعة الحاجري (١٩٤٤) ص ٢٢ .

(٢) أي فأكلون النقل كاللوز والموز والفسق .

في تاريخ المشكلة اللغوية

فريق بما يعرفون (١).

وربما كانت العامية الدارجة قريبة من الفصيحة لغة الكتابة ، وذلك بسلاسة إيقاعها
وتخير ألفاظها الصحاح العربية ، ولكنها متحللة من ضوابط الأعراب ، فالمشكوف بها
يلتزمون الاستكان في جميع صورها ، وهذا ما نضبو إليه في تقريب العامية من الفصحح .
وسبيل هذا كما أسلفنا نشر المعرفة بين الناس والزمان كغليل بتحقيق هذا .

أبراهيم السامرائي

(١) أبو علال المسكري كتاب الصناعين (طبعة الاستانة) ص ٢٢ .